دكتور محمود أحمد الحفني

يقدم

٢

الموسيقى

في الأمثال العاميّة

دكتور محمود أحمد الحفني

يقدم

الموسيقى

في الأمثال العامية

فهرس الكتاب

مقدمة

الحكم والأمثال مرايا الشعوب وصور الأجيال . هذه حقيقة نؤمن بها جميعا ونحسها فى مختلف الأمم والشعوب . وحين نمر بعصور التاريخ نجد فى تلك الأمثال نماذج من الحياة العقلية وأمثلة من الفطرة على حقيقتها فى غير تزييف ولا مبالغة . وإذا قيل إن الشعر ديوان أمة فمن الحق أن يقال إن الأمثال ميزانها .

ويقع فى طليعة الأدلة على حيوية الشعب وأساليب تفكيره وفهمه وتقديره لمختلف نواحى الوجود تلك الأمثال العامية المستمدة من قالبه

والمعبرة عن إلهامه والمترجمة لمشاعره ، دون أن يدخل عليها التعمل والتكلف واصطناع الزخرفة والتميق .

ومن ثمة كان اهتمام العلم بالأمثال العامية ، وما فى نحوها كالأغاني الشعبية ، لايقل عن اهتمامه بالحفريات والمتاحف والآثار وجميع مدلولات الحضارة والمدنية فى تعاقب أزمان التاريخ لأمة من الأمم . بل إن هذه الأمثال والأغانى لأصدق فى البرهان وأبلغ فى التدليل على مقدار نصيب الأمة من الحيوية والإدراك ، لأن تلك الآثار تعبير صامت يفهم على طريق الاستنباط والاستنتاج ، بينما نرى

تلك الأمثال والأغنيات ألسنة متكلمة تعبر في إفصاح ، وتفصح في إيضاح ، وتواجه الحقائق مرة أو حلوة في غير إنكار ولا إبهام .

وقد بدا لي والموسيقى تعيش في نفسي كنفسي أن أنقب عن مدى تقديرها ومكانتها ، لا في الموسوعات والكتب ، ولا في أغوار المراجع وشتى المصنفات ، بل في أوساط شعبنا المصري وفي قوميتنا الحبيبة إلينا . فإذا ماوجدنا الموسيقى تنطلق لا على الأوتار والمزامير وحدها ، بل في أوتار القلوب وعلى الشفاه أمثالا وحكما ، أيقنا أن الموسيقى تتمتع بمكانة سامية في الحياة المصرية الصميمة .

وما هذه الأمثال العامية الدائرة بألفاظها ومعانيها حول الموسيقى إلا دليل تعمق هذا الفن في ضمير المجتمع المصرى وعراقته فى قلوب سكان وادى النيل . وإلا فما هذه الثروة من تلك الأمثال التى تدور على أساليب بيانية مختلفة بين التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ، تستخدم فيها ألفاظ الآلات الموسيقية تارة وألفاظ الغناء والسماع والأفراح وملحقاتها تارة أخرى ؟

كل ذلك حفزني إلى الاستقراء والتتبع والتماس الألفاظ الموسيقية فى الأمثال العامية الدائرة على الأفواه أو المسطورة فى الكتب . وقد قضيت وقتاً طويلا استطعت أن ألم فيه بالكثير من هذه الثروة .

ولكننى ولم يكن هدفى أن أقدم معجما لتلك الأمثال جميعها ، فقد اكتفيت فى هذا المؤلف الموجز بجملة صالحة منها هى التى أهدف فيها إلى تبيان ما للموسيقى من الأصالة والقوة والاستقرار فى حياة الشعب المصرى ، وتأثر المصريين بها منذ عهود بعيدة قبل أن تبعث نهضتنا الحديثة بل وقبل هذا القرن الذى نعيش فيه بقرون وأجيال .

ولكن من ذا الذى أنشأ تلك الأمثال ووضع لها ألفاظها وصاغ جملها وتراكيبها ؟ ومن ذا الذى نسقها فى حكم قصيرة ومعان كبيرة ؟ ومن ذا الذى هبط بالحكمة العليا أحيانا إلى تلك الألفاظ

الدارجة بين الأزقة والدروب والأسواق ؟ . .

الحق إن هذه أمثال الشعب . فهو الذى ألفها وأخرجها ونسقها ، فيها من الأخلاق ومن التقاليد والعادات ، ومن الحقيقة والخيال ، ومن الجد والمزاح ، قوة وضعف ، وحلاوة ومرارة ، ويسر وتعقيد ، وصراحة وغموض . لأنها صورة شعبية لمختلف الأذواق والأخلاق . . وقد تكون فكرة همس بها متكلم ، فأعجب بها ثان ، ورددها ثالث ، ونقلها رابع ، ووعاها خامس ، وسجلها سادس ، ثم سلكت بعد ذلك سبيلها إلى الحياة العامة .

هذه الأمثال التى جمعت بين تصوير الحياة

النفسية والعقلية للشعب ، وتقدير الموسيقى فى تلك الحياة ، هى التى نضعها الآن بين يدى القارىء فى هذا السفر المتواضع ، ليعلم أننا يوم آمنا بنهضة الموسيقى ورفعنا العلم لإعلاء كلمتها فى مصر والشرق لم يكن اعتمادنا قائما على الفن ومراجعه أو الحاجة إليه فحسب ، بل كنا نستمد إيماننا أيضا من روح الشعب ، ووعيه الكامن ، وإلهامه الصادق ، ومن إيمانه بهذا الفن إيمانا جعله يتمثل بالموسيقى وآلاتها وأغانيها وأصواتها ومعانيها ومشتقاتها ، فى جده ومزاحه ، فى أفراحه وأحزانه ، فى آماله وآلامه ، وفى يأسه وفى رجائه ...

وقد قمنا تلقاء هذه الأمثال بما يقتضيه التبويب والتقسيم ، وحاولنا أن ننزلها على حكم العربية الفصيحة فى تعبير سليم تيسيرا على من يقرأ هذا المؤلف من أبناء العروبة ممن لم يكن على صلة باللهجات المصرية . كما تعهدناها بالشرح الموجز لمغازيها وبيان العبرة فيها .

وهذه الأمثال وإن كانت كلمات قليلة ، وجملا قصيرة ، فإنها ثروة غير يسيرة . فهى مستقاة من وجود هذا الوطن ، صادرة من أعماق أبنائه ، مما يجعلها كنزاً شعبياً ، وصحيفة من تاريخ مصر ، ومن تاريخ الموسيقى فى مصر ....

أمثال
من الآلات الموسيقية

دقّوا الطَّبِلْ عَ التَّلّه جِرْيِتْ كلْ مُخْتَلّه

(دقوا الطبل على التل يجري كل مختل)

كثيرون من الناس تستخفهم الصيحات ، ويطيرون وراء كل ناعق ، ويفزعون إلى كل نبأ يسمعونه ، فيدلون بذلك على رعونتهم وطيشهم وخفة أحلامهم . وفيهم ضرب هذا المثل .

ونظيره قولهم :

« دقت الطبله وبانت الهبله »

وقولهم :

« مجنونه وادوها طار »

وقولهم :

« هبله ومسكوها طبله »

زىّ الطَّبْل صُوْت عَالِى وجوْف خَالى

(كالطبل صوت عال وجوف خال)

مثل يضرب فى

المكثر من الكلام ،

تظنه عالمـــا وهو

جاهل ، وتخاله

مليئا ورأسه خاو.

زَىّ الطبّالْ الاعْمَى

(كالطبال الأعمى)

مثل يضرب لكل من يخطئه التوفيق فى عمل يعمله أو قول يتحدث به . فهو يخبط خبط عشواء ، ويسير على غير هدى ، لا يعرف هدفاً ولا يصيب مرمى .

على أن هذا المثل يحتمل معنى آخر هو أن الطبال الأعمى يختار عادة لإحياء حفلات النساء ، فيمتع ولا يستمتع .

طُول مَا انْتَه زَمَّارْ وَأْنا طَبَّالْ

يَامَا رَاحْ نِشُوفْ مِ اللّيَالِي الطُّوَال

(مادمت فى زمر وأنا فى طبل

فكم ما نرى من الليالى الطوال)

مثل يضرب فى أن الشر

لا ينقطع بين اثنين مادام كل

منهما على خطته فى الجدل

والتمادى واستنفاد الوقت وقطع

مراحل الأيام دون تسليم

واستسلام .

زَىْ طَبْل نِشْوَه مَجْعُوْر
وِمْلاحِق عَلَى زَفَّتِينْ

(كطبل نشوة مقعور ويستعمل فى زفتين)

نشوة إحدى قرى مديرية الشرقية ، يزعمون أنه كان بها طبل وحيد لم يمنعه تآكل جلده من استخدامه في زفتين مع أنه لا يصلح لواحدة .

وهـــذا المثل يضرب لمن لا يصلح لعمل واحد فيكلف القيام بعملين .

زَىْ الطَّبْل مَنْفُوخ عَ الفَاضِى

(كالطبل منتفخ وهو فارغ)

مثل يضرب
فيمن يخلع على
نفسه مظاهر
العظمة وهو خال
من حقيقتها .

حَتْطَبِّل عَلَىَ دْمَاغُه

(ستدق طبلها على رأسه)

معناه أن الكارثة
تصيب من تسبب فيها
وأن عاقبة الشر ينتهي
إليهـــا فاعل السوء
وحده دون سواه .

إِللِّى مَا يِنْفَعْ طَبْلَه يِنْفَعْ طَارْ

(ما لا يصلح طبلا يصلح دفا)

مثل يضرب في
أن ما لا يصلح للشيء
الكبير قد يصلح
للانتفاع به ولو في
أمر صغير .

لا يِنْفَعْ طَبْلَة وَلا طَارْ

(لا ينفع طبلا ولا دفا)

هذا المثل المشهور يضرب فيمن لا يرجى منه خير ، ولا يصلح لكبير الأمور ولا لصغيرها لحقارة شأنه وانعدام جدواه .

وهذا المثل نظير لقولهم :

« لا فى العير ولا فى النفير »

طُول مَا انتَه طَبّال أنَا زَمَّار
(مادمت طبالا فإنى زامر)

هذا المثل يقصد به غالبا المجاراة فى المخاصمات والمعارضات . فكأنما يقول المناضل لخصمه :

مادمت متمادياً فى العداء فأنا متماد فى البغضاء .

وهذا هو الذى يتبادر إلى الفهم من استخدام كلمتى « طبال » و « زمار » فى هذا المثل . وإن كان يمكن استخدامه أيضاً فى معنى التعاون والتآزر .

النَّدْب بالطّارْ وَلا قُعَادْ الرّاجِلْ فى الدار

(الندب بالدف خير من قعود الرجل فى الدار)

هذا المثل يضرب فى العاطل على كل حال . فإن عمل الإنسان ومكافحته فى الحيـــاة لـكسب الرزق أشرف من بقائه عاطلا . والموت وإن عظمت به المصيبة فدقت الدفوف من النـادبات والنـائحات خير من أن يظل الرجل عاطلا فى عقر داره .

بَرْدَانِينْ بِيْقَقْفُوا ، جَابُوا لهُمْ طَارْ

يِسَقّفُوا ، قَالُوا لِيه بِتِعْمِلُوا كِدَا ،

قَالو بِنْكِيدْ العِدَا

(من البرد يقفقفون ، وأتوا بالدف يصفقون ،

فقيل لم هذه الضوضاء ، قالوا نكيد الأعداء)

لعل هذا المثل من أطرف ما احتوته الأمثال

التى تصور دقائق الحياة الشعبية وتلقى الأضواء

على بعض خفاياها .

وهو يصور لنا حالة المرائين من محبي التظاهر الكاذب ، والذين يحاولون كيد خصومهم بانتحال أشياء ليست عندهم وارتداء زى ليس لهم والتحلى بخلال ليست فيهم . فما أحوج المرتعد من البرد أن يتوارى . ولكنه بدلا من السكن والانزواء للدفء يخرج على الدنيا مجلجلا بالدف مظهراً أنه غاية فى البهجة والقوة والاحتمال ، متخذاً من الأمور الصغار مدعاة للزهو والافتخار .

آخِر الزَّمْر طِيط

(آخر الزمر « طيط »)

مثل يضرب فى بعض الذين يبالغون فى عبث الحياة ولهوها ، ويطرحون بأيامهم ولياليهم على مائدة الاستهتار فى غير جد ولا تعقل ولا تقسيم معتدل بين الكفاح والترفيه فى معترك الحياة ، فتكون عاقبتهم فيها إلى غير جدوى .

فالمثل يشبه لنا هؤلاء بالمزمار الذى تتواصل نغماته ثم تنتهى بصوت تافه .

و « طيط » هو المحاكاة الصوتية لنهاية نغم المزمار .

رَاحْ تِقْرَا مَزَامِيرَكْ عَلَى مِينْ يَا دَاوُدْ

(لمن تقرأ مزاميرك ياداود)

داود عليه السلام نبي من أنبياء اسرائيل القدماء.

والمزامير هى آيات الكتاب الذى أنزل عليه وكان يتلوها بصوت جميل منغم (يا جبال أوبى[1] معه والطير... الآية) ومع هذا فقد كان الأشرار لا يستمعون إليها . فأصبح أمره فى ذلك مثلا يضرب فى كل من يلقى النصائح على من لا ينتصحون أو يرجو الهداية لمن لا يهتدون . ومن ذلك أيضاً قولهم : « مين يقرا ومين يسمع » .

وفى ذلك قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

(١) أى رجعى معه التسبيح بالصوت الحسن

إللّى يِدْفَعْ فِلُوسْ اِبْنُه يِزَمّر

(من يدفع نقوداً فولده يزمر)

حدثوا أن رجلا كان في طريقه إلى أحد الموالد . وفي اليوم الذى انتوى فيه السفر أقبل عليه أهل الحي يودعونه وكل يطلب إليه أن يحضر مزمارا لطفله الصغير فكان يجيب الجميع بنعم على سبيل التخلص . إلا أن أحدهم وضع في يده قطعة فضية من النقود على أن تكون ثمنا لمزمار ولده . فقال له المسافر أبشر أبشر فإن ولدك سيزمر . فشاع على إثر ذلك هذا المثل وقالوا « إللى يدفع فلوس ابنه يزمر » .

ويضرب هذا المثل تنديداً بالمتقاعدين عن السعي والراغبين في إدراك الغايات دون بذل ولا تضحية ، فما أبعد تحقيق الرجاء عمن لا يقدم إليه وسائله .

ورواية القصة على هذا النحو تشعرنا بتأصل الموسيقى في الفطرة المصرية . فالمزمار أداة استمتاع الطفل والغراس البدائي للموسيقى في حياته ، وتلك حقيقة يشهد بها منظر الأطفال في الموالد والأعياد حيث تملأ أجواءها أصوات المزامير معبرة عن مهرجان الطفولة المرحة في يومها السعيد .

قَالُوا لِلْجَمَلْ زَمَّرْ قَالْ

لا شَفَايِفْ مَلْمُومَه وَلاصَوَابِعْ مَبْرُومَه

(قالوا للجمل زمر قال كيف وليس لى

شفاه ملمومة ولا أصابع مضمومة)

وهذا المثل يروى أيضاً :

« قالوا للجمل غنى قال لحس حسن ولا حنك مساوى »

ويضرب فيمن يكلف

أمراً لا أهليــــة له

فيــه .

إللّى يِزَمَّرْ مَايْخَبِّيشْ دَقْنُه

(من يزمر فلا يخفي ذقنه)

يقصد بهذا المثل أن الإنسان ينبغى ألا يخجل من أن يرى فى مهنته ، أو يشاهد فى مظهر هو من طبيعة عمله ، بالغاً ما بلغ من سوء المنظر وضآلة المخبر .

وقد يعبرون عن هذا المثل بقولهم :

« الزمار ما يخبيش دقنه » .

ولعل هذا المثل وما فى معناه كان أول ما قيل فى عهد اعتبر الزمر فيه صناعة ممتهنة .

شَخشِخْ يِتْـلَمُّوا عليك

« شخشخ يجتمعوا حولك »

يصلح هذا المثل لمعنى مادى كما يصلح لمعنى فنى .

أما المادى فالمراد به جلجة النقود وشخشخة المال ، فإذا سمع الناس رنين الذهب والفضة تراهم يهرعون إلى صاحبهما وإلى من يملكهما ، يلقون بأنفسهم طوع إرادته مسخرين لهواه . وفى ذلك يقول الشاعر :

رأيت الناس قد مالوا

إلى من عنده مال

أما المعنى الفنى فهو أن الإنسان فى أى عمل من الأعمال لابد أن يرفع صوته وأن يعلن عن غايته حتى يتنبه الناس إليه . فصياح البائع ، وإعلان التاجر ، ودعاية صاحب الفكرة ، كل ذلك من الدواعى والشخشخة اللازمة للوصول إلى الهدف المنشود .

مَالَكْ بِتِجْرِى وِمَاسِكْ جَرَسْ

قَالْ نِسِيبْ نِسِيبِى اشْتَرَى لُه فَرَسْ

(مالك تجرى ممسكا جرسا قال

نسيب لنسيبي قد اشترى فرسا)

هذا مثل يضرب تصويراً للمبالغة فى حب الظهور والافتخار بما ليس من صنع ذلك المتظاهر. فمن الناس من إذا عجز عن عمل يكسبه الشهرة والصيت ولم يكن ذا موهبة من ثروة أو علم أوفن أو حسب ، التمس ذلك عند قريب أو نسيب »

وراح يفاخر بمحمدة ليست فيه ومرتبـــة ليست عنده ، ولـــكن يكتفى بأن يمت بالصلة إلى أصحاب تلك المحامد والمراتب .

وأهل الفطرة السليمة يتسامون بأنفسهم العالية عن أن يتلمسوا المجد فى القرابة والصداقة . بل إنهم لايتغنون بأمجاد الأسلاف إلا أن يكون ذلك التغنى باعثاً على اليقظة حافزاً على العمل .

يِمُوتْ الزَّمَّارْ وِصَبَاعُه بِيِلْعَبْ

(يموت الزامر وإصبعه يلعب)

هذا تصوير لتأصل العادات فى أصحابها . فمن اعتــاد شيئا لم تتركه آثاره ومظاهره فى جميع الحالات مهما حاول الإفلات منها . فهى تلاحقه كظله ، وتلازمه حتى الموت .

ويقول الشاعر :

« لكل امرىء من دهره ما تعودا »

وروى فى هـــذا المعنى أمثلة كثيرة ، منها قولهم :

« تموت الرقاصه ووسطها بيلعب » .

أمثال
من الغناء والأصوات

المغَنىّ يغنىّ وكُل مَنْهُوْ عَلى مَعْنَاهْ يِسْأَلْ

(يغنى المغنى وكل مستمع يسأل عن معناه)

أى أن كل مستمع يتلق من المغنى أغنيته فيسأل فيها عن أشجانه الخاصة ويفسر بها شعوره النفسى ، وكأنما وضعت هذه القطعة له وحده .

ويقال فى هذا المعنى أيضا :

« المعدده تعدد وكل حزينة تبكى بكاها »

مَتَى مَاخِلِي سِدْرُه غَنَّى

(عندما خلا صدره غنى)

هذا مثل يراد به أن الإنسان إذا خلا صدره من الهموم ، وفرغت نفسه من الشواغل، بدت عليه مظاهر الغبطة والسرور فغنى ، أو قام بما يشبه الغناء ، دليلا على البهجة والصفاء .

كُلْ كارْ مَسْتُورَه إلا كارْ الجُعُورَه

(كل مهنة ساترة إلا غناء الجاعرة)

أى أن فى نطاق كل حرفة مجالا لإخفاء العيوب عدا حرفة الغناء فإن صاحبها يتأثر بأقل العوارض الصحية التى تصيب الصوت .

ويراد بهذا المثل أن مهنة الموسيقى غاية فى الدقة ، وأن الهفوة فيها كافية لتكون إعلانا سيئاً عن صاحبها ، لاسيما فى الصوت الأجش الغليظ .

قَالْ ابْعِدْ عَنِ الشرِ وَقَنِّيْ لُه
قَالْ وِغَنِّيْ لُه

(قال ابعد عن الشر وقن له قال بل وأغن له)

هذا مثل يضرب للمبالغة فى التوقى من الشر والتباعد عنه ، واعتبار ذلك من النعم . فكأن قائلا قال اجعل بينك وبين الشر قناة تفصلك عنه فقال الآخر بل يجب أن أغنى له حتى يبتعد فإن الشرير ينبغى أن يلاين ويدارى حتى يذهب ويذهب معه شره .

الغَنِي غَنّوا لُه والفَقِير منِين نِرُوحُوا لُه

(الغنى غنوا لديه والفقير من أين نمضى إليه)

لعل هذا من الأمثال الواضحة الغنية بتعبيرها عن تفسيرها . أى أن الغنى يحوطه الناس بالثناء والغناء ، ويجدون مجال القول فيه واسعاً . أما الفقير فلا ثناء ولا غناء ، فإنه نكرة يعيش مجهولا ، وكأن الطريق إلى كوخه غير معروف. فجميع المناسبات التى تجتذب الناس إلى منازل الأغنياء المجاملات لا تجد سبيلها إلى حياة الفقير وبيته .

نَطَّرِتْ عَلَىَ بْتَاع المِلح
غَنَىَ بْتَاع الُقلقاس
قَال لُه أِهى َجتْ عَلَىَ نَاسْ نَاسْ
(أمطرت السماء على صاحب الملح فغنى صاحب القلقاس
فقال له إنها لأناس دون أناس)

هذا مثل لمعنى مشهور تضرب فيه أمثال كثيرة فى مختلف اللغات . وهو أن الشيء الواحد يكون منفعة لرجل وضرراً لآخر، فبينما هو دواء لهذا إذا به سم لذاك، وبينما هو خير هنا إذا به شر هناك .

إلا أن هذا المثل بالذات يضع أمامنا صورة حية ماثلة يستمدها صاحبها فيما يشبه المسرحية . فأنت أمام هذا المثل تتخيل السماء وقد أمطرت وابلا من الماء في مكان التقى فيه صاحب ملح وصاحب قلقاس . أما صاحب الملح فقد ذاب ربحه مع ملحه فبات يبكي ثروته الغارقة ، بينما أخذ صاحب القلقاس يغني مبتهجا لقلقاسه الذي جاءه المطر فنضره ونقاه .

وفي هذا المعنى تروى الحكمة المشهورة :

« مصائب قوم عند قوم فوائد » .

لوْ كانْ مِهَنّى لَبَاتْ يِغَنّى

(لو سعد بالهناء لبات فى غناء)

المرء لا يتغنى إلا حيث توجد دواعى الفرح وبواعث السرور. أما حين تبتئس النفس ويكتئب القلب فإن الغناء ينحبس فى نشيج وبكاء .

وهذا المثل يهدف إلى هذا المعنى ، ولكن فى عمق بعيد . فإنه يضرب وصفاً لتأثير الباطن على الظاهر . فإذا رأيت وجهاً شاحباً ، أو سمعت صيحة مكبوتة ، دل ذلك على قلب مكتئب حزين . بينما ترى الوجه الضاحك آية للقلب المرح .

وهذا ما يصوره شوقى فى قوله :

باطن الأمة من ظاهرها

إنما السائل من لون الإناء

أقَلَّـهَا مَوَّالْ يِنَزَّه صَاحْبُـه

(أقل مواليا ينزه صاحبه)

يضرب هذا المثل تصويراً للقناعة وبياناً لعـــزة النفس والاستغناء . فمن تعود هـذه القناعة فالكسرة تشبعه، والثوب يكفيه ، وأقل أغنية تسليه . وكل صوت يطرب صاحبه .

وفى هذا المعنى يقولون :

« من تجبه حسه علاه »

إنْ جَاعوا زَنُّوا وإنْ شِبْعُوا غَنُّوا

(إن جاعوا أنوا وإن شبعوا غنوا)

مثل يضرب لـكاف الإنسان بإعلان شعوره فى جميع الأحوال من خير وشر . فهو إن حزن ناح ، وإن فرح صاح .

دَبُّور زَنَّ عَلى خَرَابْ عِشُّه

(زنبار طن بخرب عشه)

يضرب مثلا لمن كان مستتراً آمناً فنبه العيون إلى نفسه . فكان كما يقول الشاعر :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
فدل عليها صوتها حية البحر

بَطّلوُا دهْ وِاْسمَعوا دَه

« أبطلوا هذا واسمعوا ذاك »

مثل يضرب فى حادث

مهم أو غريب يقع فيفاجىء

الناس ويصرفهم عما كانوا

فيه من عمل أو حديث .

وهو وإن كان على

صيغة الأمر إلا أنه يضرب

على سبيل التهكم .

إِسمَعْ مِنْ هِنَا وِسَيِّبْ مِنْ هِنَا

(إسمع من هنا ودع من هنا)

أى اسمع الكلام بإحدى أذنيك وأخرجه من الأخرى .

ومعناه أن الإنسان ينبغى له فى بعض الحالات أن يريح نفسه من الاصطدام فى مجادلة بعض من لا تجدى معهم الحجة والبرهان ، أو من تخشى منهم عواقب التشر على معارضيهم . وإذن لا يكون على المرء بأس إذا ترك المتحدث فسحة الكلام ثم ألقى بما يسمعه جانباً .

وِدْنْ مِنْ طِينْ وِوِدْنْ مِنْ عَجِينْ

« أذن من طين وأخرى من عجين »

يضرب مثلا لمن
يتغافل عن حديث
أو يعير الناصح أذناً
صماء . كالذي وصفه
القرآن الكريم
بقوله :
« كأن في أذنيه
وقرا »

الدَّوِى عَلَى الآذَانِ أَمَرُّ مِنَ السِّحْرِ

(الدوى على الآذان أمر من السحر)

مثل قديم الأصل مؤداه أن
الإلحاح والإكثار من القول
فى موضوع ما أشد تأثيراً على
الإنسان من السحر .

ويضرب مثلا فى الوشاة
والنمامين والمفرقين بين الناس
إذ يحملون مستمعيهم على
تصديقهم لمجرد الإلحاح فى الاتهام
ولو كان واضح الافتراء .

اِلْقَدّ قَدّ الفُولَه وِالحِسّ حِسّ الغُولَه

« القدر قدر الفولة والصوت صوت الغولة »

يضرب مثلاللأثر
الخطير يبدو من شيء
صغير . فقد يكون
ضئيل الجسم تافه
المنظر ولكنه يحدث
من الجلبة والضجيج
فوق ما كان ينتظر
منه .

الحسّ سَالِكْ وِالزِّرْ بَارِكْ

(الصوت سالك والزر بارك)

يصور هذا المثل حالة أولئك الذين تسمع لهم ضجيجاً وصخباً وادعاء يخيل إليك معه أنهم نهاية فى القوة والضخامة ، ثم تتكشف الحقيقة عن ضعفهم وفقدانهم لكل صفة كانوا يتظاهرون بها .

مَايِسْقَرْقَعْش إلا الصَّفِيحْ الفَاضِى

(لايطن إلا الصفيح الفارغ)

مثل يضرب فى كل صخاب يكثر الضجيج والعجيج فى أمور هو خلو من المعرفة بها والخبرة فيهـا .

ومن نظائره قولهم :

« الابريق المليان مايلقلقش »

وقولهم :

« البرميل الفارغ يرن »

خُدُوهُمْ بالصُّوت لَيَغلبوكُمْ

(اسبقوهم بالصوت وإلا غلبوكم)

يضرب مثلا
فيمن يحاول
الانتصار على
خصمه والتفوق
على مناظره بالمبادرة
إلى مهاجمته ولو
بالصياح .

يِكْفَاهُ نِعِيرُهَا

(بحسبه نعيرها)

مثل يضرب لمن نال شهرة لاتدفع فقراً ولاتجلب خيرا .

وهذا المثل فى حقيقة الأمر لأولئك الذين يعتزون بالسمعة الجوفاء ويقنعون بالشهرة الضخمة الزائفة ويفرحون بها رغم ما تحملهم من فوادح المسئوليات وعظائم التبعات .

وقد قالوا فى هذا المعنى أيضا :

« الصيت ولا الغنى »

يِاوِدْن ِطِنِي كُلّ سَاعَه خَبَرْ

(ياأذن طنى فى كل ساعة خبر)

مثل يضرب استغرابا وتعجبا لاضطراب الأخبار وتعددها وتناقضها وكثرتها .

وفى هذا المثل على هذه الصورة من التعبير جمال فنى فى نفس الصيغة حين يوجه الخطاب إلى الأذن على صيغة الأمر والطلب الإنشائى المراد به التهويل . وفى اقتران الطنين بتوارد الأخبار والمفاجآت مايتفق مع زعم العامة بأن طنين الأذن دليل على انتظار خبر هام .

الحِسّ عَالِي والفِرَاشْ خَالِي
(الصوت عال والفراش خال)

هذا المثل يشبه قول العرب :

« أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

فقد ترى ذا صوت عال ، وفن رفيع ، وكفاية ممتازة ، ثم هو إذا رأيته أنكرت أن يكون له كل هذا الذى سمعته عنه . كأنه كان ينبغى أن تكون الكفايات على قدر الأجسام والمناظر والهيئات ! !

وفى مثل هذا يقول الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أسد مزير

أَبُو جُعْرَانْ فِى بِيْتُه سُلْطَان

(أبو جعران فى بيته سلطان)

المراد أن الإنسان ترتفع منزلته فى المجتمع وتنخفض تبعاً لقيمته الأدبية أو المادية. ولكن كل إنسان مهما تضاءلت منزلته بين الناس فإنه فى نفسه وفى بيته عظيم وجليل لأنه سيد فى حدود مملكته الصغيرة.

وهذا المثل يرويه بعضهم:

« أبو جعران فى نفسه سلطان ».

ويقولون فى هذا المعنى:

« كل ديك على مزبلته صياح »

زَىّ جَمْعِيّة الغِرْبَان
أوّلْهَا كَاكْ وآخِرْ هَا كَاكْ
(كجماعة الغربان أولها غاق وآخرها غاق)

« كاك » بالعامية
أو « غاق » بالعربية اسم
صوت يحكى صوت
الغراب . ولما لم يكن
للغربان سوى هذا
الصوت تكرره مجتمعة

أو منفردة نعيقاً لا يعرب

ولا يطرب فقد شبه بجماعة

الغربان كل هيئة لا تملك

سوى النعيق والجلبة

والصياح والدعاوى

العريضة تلازمها من بداية

العمل إلى نهايته دون أن

تصل فيه إلى فائدة مرجوة

أو غاية منشودة .

تُوتَة تُوتَة فِرْغِت الحَدُّوتَه

(« توتة توتة » فرغت الأحدوتة)

الجزء الأول من هذا المثل

اسم صوت يصور تقطيعات

رنين المزمار .

والأحدوثة هنا يراد بها

القصة التي يتحدث بها للتسلية .

وهو مثل تشبيهي لحال

أولئك الذين يقيمون الدنيا

ويقعدونها في موضوع لا تساوى

أهميته مايدور من الكلام حوله ،

وسرعان ما ينتهي دون أن يترك له أثر .

ولهذا المثل بقية هي « حلوه والا ملتوته ؟» فإن أجاب سامع الأحدوثة بأنها « حلوة » قيل له « عليك غنوة » . ولا أخال الأغنية المطلوبة إلا مكافأة لمن أجاد القصة والأحدوثة .

الدّيك الفَصِيح م البيضه يصيح

(الديك الفصيح فى بيضته يصيح)

مثل مشهور يضرب وصفاً لكل من يدله منذ نشأته على نجابته . فهو منذ نعومة أظفاره تبدو عليه بوادر التفوق والنبوغ الذى لا يقيده سن ولا لون ولا بيئة بل تتجلى موهبته الباكرة كالشجرة التى تدل على ثمارها بنوارها .

ولأهمية المعنى الذى تضمنه المثل نرى فى هذا المعنى أمثالا عامية أخرى . فمنها :

« ليلة العيد من العصر ما تخفى » .

ومنها : « اليوم المبارك من أوله يبان » .

ومنها : « خير الشابة يبان ع الضبة » .

أمثال

في الرقص

الرَّقْص نَقْص

(الرقص نقص)

مثل يضرب فى كل
كثير التقلب والخفة فاقد
الرزانةوالاتزان فالملاحظ
على المفرط فى التهريج
والحركة والصخب أنه
يفقدقيمته الأدبية ويلازمه
نقص الخلق وعدماحترام
الغير له .

زَىِّ اللى رَقَص عَلَى السَّلاَلِمْ لاَ اللِّلى
فُوْق شَافُوْه وَلاَ الَّلى تَحت شَافُوه

(مثله كمن رقص على السلم فلا الذين فوقه نظروه
ولا الذين تحته أبصروه)

اشتهر هذا المثل على ألسنة العامة.

ويشبهون بالرقص على السلم كل مضطرب في عمله حائر في أهدافه غير قادر على إثبات نتيجة واقعية لمجهوده . فمثل هذا يمضي سعيه هباء ، وتذهب جهوده سدي . فلا يراه القريب ، ولا يسمع به البعيد .

ومن يضرب فيهم هذا المثل أيضاً أولئك الذين يقومون بأعمال كانت تستحق التقدير والإعجاب لو أنها وضعت موضعها وجاءت فى مناسبتها وعند دواعيها . ولكن القيام بها على غير وجهتها أو فى غير وقتها أو مع من لا يقدرها ، أو النكوص عن إتمامها ، حرمها التفات الأنظار وحسن التقدير والاعتبار .

بَدْلِة الرَّقْص لهَا أَكْمَامْ

(لحلة الرقص آكام)

يوضح هذا المثل تلك الفكرة المعروفة وهى أن لكل حالة لبوسها حتى الرقص فلاتصلح له كل الثياب . وكذلك الظروف والملابسات فى حياة الإنسان ليست واحدة . فعلى المرء أن يتخير لكل شيء مايناسبه ولكل ظرف مايلائمه .

ولعل مما يوضح هذا المثل ويقرب معناه من ناحية أخرى قولهم :

« موش حايشك عن الرقص إلا قصر الاكمام »

فهذا وإن كان يضرب فى الإفلاس وفقدان المقدرة أو ادعاء التبرؤ من الرذيلة عجزاً عنها لا كراهية لها ، إلا أن المثلين من أسلوب واحد يوضح كل منهما الآخر رغم تباعد المعنيين واختلاف المقصدين .

إِرْقُصْ لِلْقِرْدِ فِى دَوْلِتِه

(إرقص للقرد فى دولته)

ويروى فى زمانه

يضرب هذا المثل فى معانى الاستسلام والخضوع لكل حاكم فى وقته ولكل رئيس عمل يتولاه ما دام يملك النفع والضر . والذين وضعوا هذا المثل وأشباهه كأنما يعتذرون بها عن عيب التملق والمواربة والمجاملة المصطنعة للرؤساء ومن يملكون أزمة الأمور .

وهذا المثل قديم احتشدت فى معانيه أبيات

الشعراء قديماً وحديثاً ، وتفننوا فيه على ألوان من التعبير وطريقة الاقتباس . فمن ذلك قولهم :

ويرقص للقرد فى دولته ويلبس للدهر أثوابه

وقول أبى تمام :

لابد يانفس من سجود فى زمن القرد للقرود

ومن ملاحة التصوير قول القائل :

فقد سمعنا بأن كسرى
قد قال يوما لترجمانه
إذا زمان الأسود ولى
فارقص مع القرد فى زمانه

كُلّ قُرْصَه تِحِب لهْا رَقْصَه

(لايطعم قبصة إلا من رقص رقصة)

كلمـــــة « الرقص » هنا إنما وردت للسجع والجناس ، ويقصد بها الحركة والنشاط . أى أن كل فائدة فى الدنيا لابد لها من ثمن ، وأن الرزق لايدرك إلا بالعمـل والكفاح . ولن ينال خبزه من لايتحرك صوب الحياة العاملة .

الدُّنيَا غَازِيَّه تُرقُص لِكلْ حَى شوَيَّه

(الدنيا غانية ترقص لكل حى حينا)

معنى هذا المثـل فى وضـوحه أن الدنيا لاتثبت لواحد ولاتقوم دولتها لفرد، وأنه لاينبغى الاغترار برونقها وبهجتها فهى متنقلة فى تنقل الأيام والعصور ، ولايتوهم ثباتهـا ودوامهـا إلا كل مغرور .

أوّل الرّقص تحَنجِيل

(أول الرقص حجل)

يبين هذا المثل أن وقوع الحوادث لا يأتى طفرة ، ولا تنشأ العادات دفعة واحدة . ولكن للأشياء مقدماتها وبوادرها . فعادات الإدمان تبدأ تجربة على سبيل الاستطلاع ثم لا تلبث العادة أن تتأصل . كما أن الرقص يبدأ بالحجل ، وهو رفع إحدى القدمين والمشى على القدم الأخرى مشياً بطيئاً .

وأكثر ما يضرب هذا المثل فى العادات البغيضة السيئة .

أمثال
حول الدق والضرب

يَا ما دَقّتْ عَلى الرّاسْ طُبُولْ

(ما أكثر ما دقت على الرأس طبول)

يتضمن هذا المثل
صورة تشبيهية لحالة
شخص أصبح لكثرة
ما يلقى من الشدائد
يستهين باحتمال الصدمات
دون تهيب ، فهو كالذى
لاينزعج من قرع الطبول
لكثرة ما تعود من سماع
جلبتها وضجيجها .

دَقُّوا فِي اهْوَانْهُمْ وِسَمْعُوا جِيرَانْهُم

(دقوا هاونهم وأسمعوا جيرانهم)

يضرب هذا المثل في
المرائين الذين يتظاهرون
أمام جيرانهم وخلطائهم بهبة
ليست فيهم أو نعمة ليست
لديهم ، ليوهموهم أنهم أرقى
مما يظنون .

دَقّةْ المِعَلّمْ بِألْف وَلوْ تِروْح بَلاَشْ

(دقة المعلم بألف ولو ذهبت سدى)

يشير هذا المثل إلى أن الجهد الفنى من ذوى الخبرة أجدى من أعمال يؤديها ناقصوها ، وأن دقيقة الماهر بألف من زمن غيره .

والجزء الأخير من المثل وهو ذهاب العمل سدى إنما يراد به مجرد المبالغة والمغالاة .

الدِّقة عند الجار سلف

(الدقة عند الجار سلف)

مثل دقيق يعد فى
طليعة الحكم ومفاده أن
الإنسان ينبغى له مراعاة
جاره لأن كل ما يؤديه
المرء من حسنات أو سيئات
إلى جاره إنما هو دين
سيؤديه له الجار . ولكل
دين أوان ، وكما يدين
الفتى يدان .

مَتْدُقِّش

(لا تدق)

كلمة جرت
مجرى المثل وتقال
فى النهى عن
التشدد ، واستبعاد
التكلف والتعسف
فى الأمور .
ونظيره قولهم :
« إللى يدق يتعب »

دَقّة بدَقّة

(دقة بدقة)

يضرب هذا
المثل فيمن آذى
غيره عقوبة له على
عدوان سابق .
أي أن هذه نتيجة
لتلك وأن الحياة
قصاص .

دَقَّهْ عَ السِّنْدَالْ ودَقَّهْ عَ الوَتَدْ

(دقه على السندان ودقة على الوتد)

يضرب هذا المثل تصويراً للباقة فى المعاملة والسياسة فى المعاشرة والكياسة فى معالجة الأمور سيما من الرؤساء . فالعاقل لايلح فى التزام لون واحد من المعاملة ربما كان سببا فى تعقد الأشياء وارتباكها . فالذى يتنقل فى ألوان المعاملات يبلغ الحكمة ويحقق مايرجوه ، وليس كالذى يجمد فى أسلوبه . فالشدة يوما واللين يوما يتكافآن ويخدمان صاحبهما ، بينما اللين المحض ضعف والشدة الدائمة قسوة ، فلابد من التناوب بين الصفتين والتعادل بين الحالتين .

لَوْلاَ الجَرَبْ كُنْتُ ضَرَبْتُ بِالْقَلَّه

(لولا الجرب لارتفعت شقشقتك)

يقصد بهذا المثل
البعير المستكين
لمرضه فلا يمنعه
عن إخراج
شقشقته «القلة»
إلا وطأة المرض
وشدته .

إضْرَبْ المَرْبُوطْ يِخَافْ المسَيِّبْ

(إضرب المقيد فيخشاك الطليق)

يضرب فيمن يعتدى على الضعفاء ليرهب الأقوياء وعلى الصغار ليخيف الكبار ، كما هو شأن الساسة وبعض الحكام الذين يعمدون إلى التنكيل بصغار المنزلة ممن يعييهم الدفاع عن أنفسهم ليظنهم غير هؤلاء أنهم غاية في الشدة والقوة والسلطان .

إضرب النَّدْلْ واكْفِيه وبُوسْ راسُه يِكَفِّيه

(إضرب الندل وابطحه وقبل راسه تصلحه)

كثيرون من الأنذال لاتؤثر فيهم الصفعات ولا تغضبهم الضربات . وقد تستطيع أن توجه إلى أحدهم أكبر إهانة فترجع إليك مودته بأدنى ثمن .

وفى هؤلاء يضرب هذا المثل .

إضْرَبْ الطَّاسَه تِجِي لكْ ألْف لحَّاسَه

(إضرب الطاسة تجد ألف لحاسة)

هذا مثل يتضمن تصويراً لشناعة جشع الناس وتزاحمهم على المنفعة ، وأنه ما يكاد شبح الوليمة يلوح من خلف السرادقات والزينات حتى يجتذب إليه العشرات والمئات .

فالناس عبيد المادة وعباد الثراء ، يتبعون ظل المنفعة حيثما لاح شبحها أو امتد ظلها .

إضْرَبْ الطِّيْنَه فِى الحِيطَه
إنْ مَا لِزْقِتْ عَلّمِتْ
(إضرب الطينة فى الحائط فإما التصقت وإما أثرت)

هـذا مثل عميق
ينتحى بك ناحيـة
التحريض على الشر للنيل
من عـدو نكاية فيه .
فترى الخصم يكيل لخصمه
التهم وهو يعلم أنها باطلة
كاذبة ، ولكنه يعتقد أنها
إن لم تثبت ضده كانت

على كل حال داعية إلى تجريحه والتشهير به ، على حد المثل الآخر :

« الطلق اللى مايصيبش يدوش »

وإذا انتحينا بهذا المثل ناحية خيرة لأمكن أن يكون مضربه فى الحض على العمل ، والسعى ، والأخذ بالأسباب . فكل محاولة لا بد لها من أثر ولو كان طفيفا .

إضْربْ عَصَاتَكْ وِاجْرِي وَرَاَهَا

(إضرب بعصاك واجر وراءها)

هذه كناية عن خلو المرء من مسئولية الارتباط بغيره كالأزواج والأبناء وغيرهم ممن يتحتم على الإنسان أن يلتزم بتكاليف الحياة قِبَلهم. فإذا خلت تبعاته من مثل هؤلاء أصبح حراً طليقا يلقي عصاه حيث شاء ويقيم أنى أراد .

وفي مثل هؤلاء يضرب هذا المثل ، لأنه مادام لا يمتلك سوى هذه العصا فهي لاتقعده ولاتقيده

تِضْرَبْنِى تِقْطَعْ رَاسِى
تِصَالِحْنِى تِجِيبْ لِى رَاسْ مِنِينْ

(تضربنى فتقطع رأسى ثم تصالحنى
فمن أين تأتينى برأس آخر)

هذه حكمة شعبية صيغت صوغ المثل ، ومؤداها أن الإنسان ينبغى له أن يتريث وأن يتئد فى العقاب والتنكيل ولا يسرف فى الانتقام ، وأن يبغض بغيضه يوما فعسى أن يكون صديقه يوما ما . فإذا خاصمت أحداً أو حاربته فاذكر أنك قد تستعيد مودته . فلا تضرب الضربة القاضية ، ودع للصلح مجالا . لأنك إذا استأصلت المودة وقضيت على روابطها فقد أضعت الأسباب وأقفلت الأبواب .

يِضْرَبْ فِى زَفَّه وِيصَالِحْ فِى عَطْفَه

(يضرب فى زفة ويصالح فى عطفة)

يضرب هذا المثل فى حال أولئك الذين يبادرون عشراءهم وإخوانهم بالإساءات العلنية ، ثم يصالحونهم ويعتذرون إليهم فى خفية من الناس كى لا يظهروا ضعفهم واعترافهم بالعدوان .

وللنيل من هؤلاء الذين يعتدون جهراً ، ويعتذرون سراً ، وجه هذا المثل على سبيل اللوم والتقريع .

أمثال
في العرس والزواج وما يتبعهما

قَالُوا رَاحْ تِتْجَوِّزِى فِى بِيتْ عِيلَه
قَالِتْ رَاحْ يِبْقَى مْعَايَا لِسَانِى واغْلَبْ

(قالوا لها ستزوجين فى بيت عائلة
فقالت كيف أغلب ومعى لسانى)

هذا المثل معناه أن المتزوجة فى عائلة كبيرة تستهدف لمعركة حامية مستمرة من الشجار بين مختلف أفرادها المتباينين فى الأذواق والأخلاق ولكن ما دام معها لسان سليط فإنها لن تغلب فى هذا الميدان .

ويضرب فيمن لا يتهيب شيئاً ، ويستطيع أن يرسل القول حيث شاء مادام يملك لساناً قاطعاً وعتاداً لا ينفد .

مِتْجَوِّزَه عَدَسْ عَازْبَه عَدَسْ

(إن متزوجة فعدس وإن عازبة فعدس)

مثل يضرب فيمن
تلاحقه المحن وتلازمه
التعاسة مهما تبدلت به
الأغيار وتعاقبت عليه
الأقدار ، فهو لا ينتظر
مما صار إليه خيراً مما
كان فيه .

جَوِّزُوا مِشْكَاحْ لِرِيمَة مَاعَلَى الاتْنِين قِيمَة

(زوجوا مشكاحاً لريمة ما على الاثنين قيمة)

الاسمان « مشكاح » و « ريمة » فى هذا المثل مصطنعان فى الغالب على سبيل التحقير .

ويضرب هذا المثل فى وضيعين جمعتهما رابطة من الروابط فلم يرفع أحدهما قدر الآخر . فإن اجتماع الوضعاء لا يرفع من شأنهم ولا يضاعف من قدرهم .

ومن ذلك قولهم أيضاً :

« جوزوا زقزوق لظريفة » .

وقد تكون هذه الأسماء حقيقية وضعت فى حينها لمناسبات خاصة ثم أسدل الزمان عليها ستار النسيان .

جَوّزُوا الشّحَاتَه تِنْغِنى حَطّت لُقْمَه
فى الطَّاقَه وِقَالِت يَاسِتى حَسَنَه
(زوجوا المتسولة لتجد الغنى فوضعت
لقمة فى الطاق وقالت ياستى حسنة)

الصورة التى تستفاد من
هذا المثل تبدو لنا فى حال امرأة
متسولة تعودت الاستجداء ،
فزوجوها من يستطيع أن
يكفيها مذلة السؤال . ولكن
لتأصل عادة التسول فيها ألقت
بكسرة من طعامها فى الطاق ،

وتخيلت أن فيها سيدة كريمة محسنة ، فقالت لها أحسنى إلى يا سيدتى .

كل الناس يعلمون أن العادة طبع ثان فى حياة المرء ، ولكن هذه الافتراضية فى هذا المثل تبدو رائعة غريبة يكاد الخيال فيها أن يتمثل حقيقة للأنظار .

ويعتبر هذا المثل من طرائف الأدب الشعبي لدقة تصويره .

ويضرب لبيان أثر العادة فى سلوك الإنسان وطبيعته .

جَوِّزُوهَا لُه مَالْهَا إلا لُه

(زوجوها له فما هى إلا له)

مثل يضرب فى كل أمر صادف أهله ويستعمل غالباً فى كل نظيرين يرتبطان برابطة الزواج. وهو يحتمل المدح والذم. فمما يشبه الأول قول أبي العتاهية فى الخلافة والخليفة:

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

أما استعماله فى الذم والتحقير فهو على مثل ما قدمناه من الأمثال فى نحو:

« جوزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين قيمه »

وقولهم: « جوزوا زقزوق لظريفه ».

وقد سبق الكلام عنهما.

لا اتْجَوزْتْ وخِلِي بَالِى
ولا انا فْضِلْتْ عَلَى حالى

(ما تزوجت وخلا بالى ولا بقيت على حالى)

هذا مثل معناه واضح فى ألفاظه فهو يضرب فى كل من فقد الاستقرار فى حياته ، فأصبح كالمعلق المرتهن ، وقد انتقل إلى حال أنكد عيشاً من التى كان عليها ، فلا بقى ساكنا فى الأولى ولا أصبح مطمئناً فى الثانية حيث كان ينشد الخير فيها قبل أن يدركها ، فساء به المصير فى كلتيهما .

خَدُوا جُوْزْ اَلخرْسَه اتكلّمِت

(أخذوا زوج الخرساء فتكلمت)

ومعناه أن المرأة قد تصبر على احتمال المظالم حين يسلب متاعها ومالها . فإذا أخذ زوجها من يدها تكلمت ولو كانت خرساء . وذلك على سبيل المبالغة .

ويضرب هذا المثل فى الحوادث والمظالم وفى جميع الأمور إذا تجاوزت حدودها حيث يثور الهادئ ، ويتحرك الساكن ، ويجن العاقل ، ويغضب الحليم ، ويفصح العي .

بِفلُوسَك بِنْت السُّلطَان عَرُوسَك

(بفلوسك تصبح بنت السلطان عروسك)

معنى هذا المثل أن الأموال تبلغ أبعد الآمال ، وترفع بوضيع المنزلة إلى أرقى الطبقات ، وتذلل له العقبات ، وتبلغه المستحيل ولو كان زواج بنت السلطان . وهو تصوير مبالغ فيه للتدليل على ما للمال من السحر والقدرة وقوة النفوذ .

ويقول الحريرى فى وصف الدينار :

« لولا التقى لقلت جلت قدرته » .

زَى أمّ العَرُوسَه فَاضيَه ومَشْغُوكَه

(مثل أم العروس فارغة مشغولة)

هذا مثل تشبيهى يضرب فى المشغول لغيره دون جدوى ، وفيمن يبدو دائما وقد ازدحمت عليه الأعمال ، والواقع أن فى قدرته الفراغ منها أو من أكثرها.

أما وجه الشبه فى المشبه به هنا فبالغ فيه لأن أم العروس دائمة الاشتغال والاهتمام بعرس ابنتها ، وبعد هذا العرس لا يفارقها التفكير فى مصيرها . ولعل المثل يراد به مجرد التصوير .

شُـوَبَشْ يَاحَنَّا خُطّ النُّقُـوطْ يَامِيخَائِيلْ

(« شوبش » ياحنا ادفع « النقوط » ياميخائيل)

كثيراً ما يحمد أناس على عمل لم يكن لهم فيه فضل فجنوا ثمراً لم يغرسوه ونالوا ثناء لم يستحقوه ، وذلك على حساب غيرهم ممن بذلوا وكدوا .

أما كلمة « شوبش » التى بدئ بها المثل والتى ينادى بها إعلانا لجمع النقود فى الأفراح والأعراس ، فهى محرفة عن لفظ فارسى مكون من كلمتين هما : «شاد باش» ومعناها «كن مسرورا» .

الفاوى ينقط بطاقيته
(الهاوى ينقط بطاقيته)

إذا تأثر المرء بهواية غلبته على كل شيء حتى لا ينثنى عنها ببذل مهما كلفه من جهد وعناء .

ويوضح لنا هذا المثل تلك الحقيقة فى تصوير دقيق . فالطاقية أظهر شيء على الرأس وكرامتها من كرامة صاحبها ، فهى لذلك آخر ما يمكن أن يفرط فيه . ولكن الهواية قد تنتزع الطاقية من رأس لابسها بعد أن تنتزع القرش الأخير من جيبه ليدفعها «نقوطا» أو نقوداً يجامل بها فى حفلات الأفراح ، أو تكريماً للفنان الذى يملك عليه مشاعره . وكثيراً ما نشاهد أردية الرأس تنطلق إلى منصة الفنان كمظهر من مظاهر الإعجاب والتقدير .

أصْحَابُ العِرْسِ مِشْتِهِيِّينْ المرَقْ

(أصحاب العرس يتشهون المرق)

يقال هذا المثل لمن
ينتظر بلوغ شيء من
أناس هم أعجز من أن
ينالوه أو ينالوه لأنفسهم .
وذلك نظير لقولهم :
« كيف يعطي الشيء
فاقده » .

زَى اللِّى هيّه لُقْمِة عِرْسْ
يَاكُلْهَا وِيِنْسِلِتْ

(كأنها لقمة عرس يأكلها ويتسلل)

هذا المثل يصور حالة من يصادقون الناس ويخالطونهم على قدر حاجاتهم لديهم ومطالبهم عندهم ، حتى إذا فرغت الأطماع وتحققت الآمال تنكروا لمن كانوا يضرعون إليهم بالأمس . فهم فى ذلك كأ كلة الولائم ليس لهم بعد طعام المأدبة قرار سوى الفرار .

رِكِبْ الخَلِيفَه وانْفَضْ المُوْلِدْ

(ركب الخليفة وانفض المولد)

من المشهود فى تقاليد الموالد أن الجماهير المحتشدة وحلقات الذكر والسرادقات المقامة تعتبر كلها ركوب الخليفة فى اليوم الأخير يضع النهاية المولد حيث تنفض الجموع وتطفأ الشموع .

ويضرب هذا المثل فى كل ماهو من هـــذا القبيل من الأعمال التى يحاول بعض الناس الاستفادة بها بعد فوات وقتها .

الحُزْنْ يِعَلِّمْ البُكَا والفَرْح يِعَلِّمْ الزَّغارِيط

(الحزن يعلم البكاء والفرح يعلم الزغاريد)

أصل الزغردة هدير الإبل
من أجوافها . وتطلقها النساء
أصواتاً خاصة يعبرن بها عن عظيم
السرور والابتهاج فى الأفراح
والمناسبات السارة .

ويراد بالمثل أن كل حالة
من الحالات تستتبع مظاهرها

ودلائلها . فكثرة الأحزان تعلم البكاء والرثاء وتذهب معها البشاشة والمسرات . وعلى النقيض من ذلك حالة الفرح التى تستدعى ابتسام الثغر وبشاشة الوجه وطلاقة المحيا وانطلاق الزغاريد .

ويضرب فى كل من تغلب عليه عادة بسبب ما يحيط به من الظروف وما يطغى على نفسه من المؤثرات .

مَا تِزَغْرَطُوا إلا لمَا تِتْقَمَّطُوا

(لا تزغردن حتى تتقمطن)

أى لاتسرعن بالزغردة حتى تهيئن الأسباب وترتدين للعرس الثياب .

ويضرب هذا المثل تحذيراً لكل متسرع فى إظهار نعمة قبل نوالها أو التفاخر بدرجة قبل بلوغها . فإعلان الشىء قبل الأوان ربما كان سببا للحرمان أو السخرية والهوان .

الزَّغَارِيطْ تِسْبِقْ عَلَى رَاس العَرُوسَه

(الزغاريد إنما تكون فى جلوة العروس)

أي ينبغي الاعتدال فى مظاهر الأفراح إلى أن تزف العروس التى من أجلها تقام المعالم والزينات وحينئذ يبلغ السرور أوجه والفرح منتهاه .

وهذا المثل يضرب فى كل متعجل يظهر ابتهاجاً قبل الأوان ويعلن الأفراح قبل بلوغ الآمال ، فإن ذلك مستهجن حتى ولو كانت الدواعى مقطوعا بحصولها .

مَا تِزَغْرَطُوش يَاوْلاَد جَنْجَرَه

دِى الدّاهيَه تَحت القَنطَرَه

(لاتزغردوا يا أبناء جمجرة فالداهية تحت القنطرة)

مفاد هذا المثل أن الدهر لا يؤمن جانبه، فقد تختفى المصائب والأتراح فى ثنايا الأفراح والليالى الملاح.

وهذا المثل يصف ما أصاب أهل جمجرة وهى إحدى قرى مديرية القليوبية الذين احتفلوا بزفاف عروس لهم، وبينما هم على تلك الحال إذا بهم يفاجأون عند قنطرة القرية بما بدل أفراحهم أتراحا، ومسراتهم أحزانا.

فِى فَرَحِكم أبْص وَارْجَع
وِفى غَمَّكُم لِىَّ التّلاَت وِالار بَع

(فى فرحكم أنظر وأرجع وفى غمكم لى الثلاث والأربع)

يضرب هذا المثل وصفاً لحالة اجتماعية تدور كثيراً فى حياة الأسر والأصدقاء ، وذلك أنهم يذكرون الصديق أوالجار أوالقريب عندما تنتابهم كارثة يعوزهم فيها المواسى والمعين . ولو توانى عن مواساتهم لحظة جعلوه غرضا لسهام اللوم والتقريع . فإذا جاءتهم النعمة نسوا صديق المحنة وشريك البأساء.

وفى هذا المعنى قولهم أيضا :

« فى أفراحكم منسية وفى أحزانكم مدعية »

كُل نُومَه وِتَمْطِيطَه
أَحسَن مِن فَرَح طِيطَه

(كل نومة مع التمطي خير من فرح مع المزمار)

هذا المثل يضرب غالبا فى معنى واحد هو المعنى المستفاد من عبارته اللفظيـــة . أعنى أن النوم وهو اسـتيفاء لراحة الجسد بعد الجهد والعناء خير من كل ماسواه ولو كان الفرح المحفوف بالمواكب والمزامير .

و « طيط » اسم لمحـاكاة صوت المزمار .

جَتْ الحزينَه تِفْرَحْ مَالْقِتْ مَطْرَحْ

(أرادت الحزينة أن تفرح فلم تجد المطرح)

والمطرح هنا معناه المحل أو المكان أو الوسيلة .

ويضرب هذا المثل فى كل من تلازمه الأشجان ، وتتبع ظله الأحزان . فما تكاد الحياة تبسم له حتى يعترضه شؤم الحظ ونكد الطالع . فهو لا يكاد يبتهج حتى يبتئس ، ولا يكاد يضحك حتى يبكى .

غُولَه عَمَلِت فَرَح

قَال يِكَفّيهَا وَلا يِكَفّي أولادْهَا

(غولة أقامت فرحاً أيكفيها أم يكفي أولادها)

معناه أن غولة أقامت وليمة طعام ، ولكن هذا الطعام لن ينال أحد منه نصيبا لأنه سيستنفد إن لم يكن بها فبأولادها .

والغول اسم لشبح متوهم يتخيلونه مخلوقا يلتهم الأخضر واليابس حتى البشر .

ويضرب هذا المثل وصفاً لكل طامع أو بخيل أو نهم يتظاهر بالجود والعطاء ، وهو من كل منهما براء .

لاَ فَرَحْ وَلاَ زَفّهْ وِإيهْ دِى الِخفّه

(لافرح ولا زفة فما هذه الخفة)

يضرب هذا المثل
فيمن يبدى خفة
وطيشا فى غير ماشىء
وبدون داع ولا مناسبة.
فهو أشبه بمن تتجمل
بحلية العرس وتلهو
وليست فى ليلة عرس
ولا يوم زفاف .

مَا تِفْرَحْش لِلِّى رَاح
لَمّا تشُوف اللِّى يِجِي

(لاتفرح بمضى الذاهب حتى ترى القادم)

يراد بالفرح هنا إظهار الشماتة .

والمراد أنه لاينبغى للعاقل المتبصر أن يظهر ابتهاجه وشماتته فى ذهاب من يكنّ له البغض أو يشكو سوء معاملته حتى يعلم ماذا يصنعه الذى جاء يخلفه فى موضعه ، فلعل الذى يأتي يكون شراً من الذى مضى فيصير الابتهاج مرارة ، والشماتة حسرة ، والفرح ندامة . والمتبصر يتريث فى الأمور ولا يتعجل إعلان السرور .

يَافَرْحَهْ مَاتَمِّتْ خَدْهَا الغُرَابْ وِطَارْ

(وافرحة ماتمت أخذها الغراب وطار)

مثل يضرب في تصوير المسرات التي تعالجها الأقدار بالأكدار. والغربان لاتختطف الأفراح وإنما قيل ذلك على سبيل التشاؤم من الغراب وسرعة انقضاضه واختطافه، مع المبالغة في التصوير.

الـفَـرَحْ الدّايِمْ يِعَلِّـمْ الرَّقْصْ

(الفرح الدائم يعلم الرقص)

هذا المثل واضح المعنى على بساطته وإيجازه . ويراد به أن البيئة تنطبع آثارها فى الإنسان وتجعل مظهره خاضعاً لها. لهذا يضرب فيمن امتزج بحالة فلزمته نتائجها وخصائصها . فكثرة النزول إلى الماء تعلم السباحة ، وكثرة استعمال السلاح تعلم الرماية . وهكذا يخضع الإنسان فى خصائصه وصفاته لمؤثرات البيئة والوسط .

وفى مثل ذلك يقول الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

زِي فَرْخْ الِهدْهِدْ كُلْ مَا يِقْرَبْ يِبْعِدْ

(مثل فرخ الهدهد ما يكاد يقرب حتى يبعد)

يضرب هذا المثل
فيمن يأمل أمراً
يظنه قريب المنـــال
وهو بعيد الاحتمال

يَافَرْحِةِ العِوَلَه بِلَمّ الزَّرْع لاصْحَابه

(يافرحة العالة بجمع الزرع لأصحابه)

العويل معناه العالة على غيره .

ويضرب هذا المثل وصفا لكل من يتفاخرون ويختالون بنعمة ليسوا أصحابها وإنما هم حاشية وخدم وأتباع . وقد ينسى هؤلاء وضعهم هذا فيفخرون بما لا ينالون ، ويتباهون بما لا يملكون .

إضْحَكْ وِالضّحْكْ رِخِيصْ
قَبْل مَا يِغْلَى وِيِبْقَى بْتَلالِيسْ

(إضحك والضحك رخيص

قبل أن يتجاوز غلاؤه مال التلاليس)

مثل يضرب لانتهاز فرصة السرور والدهر صفو والحياة طيعة ، قبل أن يأتى يوم لايملك المرء لنفسه مرحاً ولاطربا ، ولوأنفق ملء الأرض ذهبا .

وفى هذا المعنى يقول الخيام فى رباعياته :

اطفىء لظى القلب بشهد الرضاب
فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل
حظك منه قبل فوت الشباب

للمؤلف

١ — الكوميدى الحديث

المجموعة الأولى من أزجاله المسرحية

طبع القاهرة سنة ١٩١٧

٢ — أشهر مشاهير الموسيقى الغربية

طبع برلين سنة ١٩٢٣

٣ — رسالة الكندى فى خبر تأليف الألحان

طبع ليبزج سنة ١٩٣١

٤ — ابن سينا وتصانيفه الموسيقية

طبع برلين سنة ١٩٣١

٥ — دراسة القانون

طبع القاهرة سنة ١٩٣٤

٦ — مجلة « الموسيقى » (١٤ عدداً)

طبع القاهرة سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦

٧ — موسيقى قدماء المصريين

طبع القاهرة سنة ١٩٣٦

٨ — صور التاريخ الموسيقى

طبع مصلحة المساحة بالقاهرة سنة ١٩٣٧

٩ — الموسيقى النظرية

القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧
الطبعة الثانية سنة ١٩٣٩
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٦

١٠ — موتسارت. قصة الطفل المعجز والموسيقى العبقرى

طبع القاهرة سنة ١٩٣٩

١١ — المجلة الموسيقية (١٣٧ عدداً)

طبع القاهرة سنة ١٩٣٦ — ١٩٤١

١٢ — الموسيقى فى كلمات

طبع القاهرة سنة ١٩٤٣

١٣ — بيتهوفن

طبع القاهرة سنة ١٩٤٤

١٤ — تبسيط دراسة الموسيقى

طبع القاهرة سنة ١٩٤٥

١٥ — تنظيم أوقات الفراغ

القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٥
الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦

١٦ — مجلة الموسيقى والمسرح (٤٨ عدداً)

طبع القاهرة سنة ١٩٤٧ — ١٩٥١

١٧ — فردريك شوبان

طبع القاهرة سنة ١٩٤٩

١٨ — أعلام الغرب

(من سلسلة التاريخ الموسيقى)

الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩

الطبعة الثانية سنة ١٩٥١

١٩ — الموسيقى العربية وأعلامها

(من سلسلة التاريخ الموسيقى)

طبع القاهرة سنة ١٩٥١

٢٠ — الموسيقى فى الأمثال العامية

طبع القاهرة سنة ١٩٥١